تقديم

تراكمت منذ عصور كثيرٌ من الشكوك والشبهات، نَحتت ونخرت عقائدَ الناس فرادى وجماعات وكأنها مبرد أو مثقب يحتّ في العقول والأذهان. وقد لاحت هذه الشكوك والشبهات في عصرنا هذا على وجه الخصوص على شكل إلحادٍ جماعي. ولم يستطع العالم المسيحي أن يصمد أمام هذه الموجة، حتى إننا تعرضنا أيضًا في الوهلة الأولى للتذبذب والتردد. بل إنّ بعضًا من الشباب الذين فقدوا إيمانهم في بداية هذا العصر وكانت نهايتهم الانتحار قد نوّهوا في رسائلهم الأخيرة بأنه لا معنى للحياة من دون إيمان.

ولقد ترتب على الأدوات المفسدة التي تراكمت منذ ألف سنة أن أُتخنت المبادئُ والأفكارُ العامة بجروح غائرة، وقوّضت الشعائر الإسلامية التي تعد ركائز أساسية يعتمد عليه إنسانُ هذا العصر، فنتج عن هذا أن جَنَحَ الضميرُ العام إلى الضلال والفساد. ولذا كان يجب أن تُضمّد هذا الجروح بأدوية القرآن والإيمان.

ولقد كان علماؤنا على وعي بهذا، فها هو المرحوم "عمر نصوحي" يقول: "ينبغي لعلماء الإسلام اليوم أن يقوموا بعملية تجديد في علم الكلام، عن طريق تفنيد ودحض النظريات الفلسفية الحديثة التي كدّرت العقول والأذهان في هذا الزمان". ويشخِّص الطبيب الحاذق في هذا الزمان هذا المرضَ بقوله: "الفلسفة المادية طاعون معنوي، حيث سبّبت في سريان حمّى مهلكة في البشرية، وعرّضتها للغضب الإلهي. فكلّما توسعت قابلية التمرد والانتقاد -بالتلقين والتقليد- توسّع ذلك الطاعون

أيضًا وانتشر. فانبهار الإنسان بالعلوم، وانغماره في تقليد المدنية الحاضرة أعطاه الحرية وروح الانتقاد والتمرد، فظهر الضلال من غروره".

وقد أصبح هذا المرض في زماننا أخطر وأوسع انتشارًا من الطاعون، وخاصةً بعد أن تناوله بعض الروائيين المشهورين في رواياتهم. فنما وترعرع في العقول والقلوب الشابة الغرّة الضعيفةِ المناعة. وأصبحت هذه الشكوك والشبهات مدار الحديث في القرى والمدن، فما يكاد الحديث يدور حول الدين والإيمان في المدارس والمقاهي حتى تطلّ هذه الشكوك والشبهات برأسها على جموع الناس ويشرعون في الحديث عنها.

فبعض الناس اتخذوا من هذا الوضع موقفًا، وكأنهم سدوا آذانهم تجاه هذه الشكوك والشبهات، فأخذوها وحاولوا أن يلووا أعناقها ويحطموا رؤوسها، بقوة إيمانهم الذي يفور ويطفح من أعماق ضمائرهم.. بل وألقى بها في غياهب السجون التي أعدّوها في قلوبهم وأذهانهم. ورغم أنهم لم يتمكنوا من دحض هذه الشكوك والشبهات، فإنهم اعتمدوا على صلابة إيمانهم والملذات الروحانية والمعنوية التي تكسبها نشوةُ العبادة، وعاشوا في شدٍّ معنوي، متصدّين لتلك الشكوك والشبهات، ولم يهبوها حقَّ الحياة.

وتجاوز بعضهم أيضًا فهمّ بتكفير هؤلاء الذين يثيرون هذه الشبهات دون اعتبار لنواياهم. فأدّت هذه السلبية في ردود الأفعال إلى تعمق الغرغرينا وانتشارها. ولمّا لم يجد مَن يسأل عن هذه الشبهات بنوايا حسنة، جوابًا مقنعًا لهم أصيبوا بخيبة أمل، وتورطوا أكثر في شبهات مهلكة، فوقعوا في دُوّامة الإلحاد، وتدحرجوا في هوًى سحيقة.

وكان هذا الوضع المزري فرصةً سانحةً لأولئك الذين تبنوا الفكر المادي وحوّلوا نظرتهم هذه إلى حرب أيدولوجية.. فأخذوا يصرعون كثيرًا من ضحاياهم بسهام هذه الشبهات، أو -على الأقل- يثخنونهم بالجراح.

كان الكفـر قديمًا نابعًا من الجهل، فلذلك كانت جهالات الناس تزول فـور بيـان الحقائق لهم، وتغمرهم السـكينة جـراء بلوغ الحـق والصواب. وأما في عصرنا فإن هناك عواصف إلحادية تهبّ تحت عباءة العلم والفلسفة، فهناك أشـخاصٌ يعتنقون مثل هذه النوعية من الأفكار ويحسـبون أنفسـهم عالميـن، ولـذا لا يتقبّلـون أي شـيء غير أفكارهـم التـي يعتبرونها علمية، ومـن ثمّ ضعفت قابلياتهم في البحث عـن الحقيقة. من أجل ذلك لم يكن يهتـدي مـن مثل هؤلاء قديمًـا إلا واحد بالألف. ولكـن لأن الإيمان قديمًا كان عامًّا ومتمكّنًا في النفوس؛ بمعنى أن أكثر الناس كانوا مؤمنين فلم يكن لمعتقـدات أولئـك ضـررٌ كبير على الآخريـن. بيد أنّ الكثيريـن في عصرنا تذبذبـت عقيدتهـم نظرًا لتولّي عصر التسـليم والإذعان، ونشـأ عن انتشـار الأراجيف أن رأينا أناسًـا متخبّطين في الشـكوك والشـبهات في كلّ مكان، بل مَن فقد كل ما لديهم.

وابتغـاءً لتضميـد هـذا الجـرح الغائر قمنا بإعـداد هذه السلسـلة التي تسـمى: ''أسـئلة العصر المحيـرة''. وهي عبارة عن أجوبـة ارتجالية على الأسئلة التي طرحتها جماعة المسجد -وأكثرهم من الشباب- أثناء دروس الوعـظ التـي كان يُلقيها الأسـتاذ محمد فتح الله كولن في السـبعينات من القـرن المنصـرم. ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن هذه السلسـلة تفتقد إلى وحدة الموضوع؛ لأن الأسئلة المطروحة كانت متعلقة بموضوعات شتى. ورغم هـذا فقد رتّبنا الموضوعات الواردة في هذه السلسـلة في أربعة مجلدات حتى تخضـع على الأقل لنظام معين.

المجلـد الأول: أسئلة عن شبهات مباشرة حول مبادئ العقيدة.

المجلـد الثانـي: أسـئلة تنطوي على شـبهات ضمنية، وأسـئلة أخرى تتعلق بالعقيدة.

المجلد الثالث: أسئلة حول حياة "الخدمة الإيمانية"، وطرق اكتساب النضج الروحي، والحفاظ عليه.

المجلد الرابع: أسئلة متفرقة.

هذا وقد سبق أن نشرنا كتابًا واحدًا من هذه السلسلة تحت عنوان: "أسئلة العصر المحيّرة"، يتضمن أسئلة مختارة مبثوثة في المجلدات الأربع التي تحمل اسم السلسلة. أما الكتاب الذي بين أيديكم فهو المجلد الأول من هذه السلسة.

ونرجو أن يحوز هذا الكتاب على إعجابكم وأن يكون وسيلةً للردّ على الشبهات التي تدور في القلوب والأذهان.

دار النيل